

(٦)

الإسلام وطبيعة الإنسان

لقد جاءت رسالة الإسلام مطابقة للطبيعة البشرية في صورتها الحقيقية، لا لابس فيها ولا غموض. فلا هي تدعو الإنسان أن ينسى دنياه رغبة في آخرته، ولا هي تدعوه ليزهد في نعيم الدنيا ليحظى بجنة عالية قطوفها دانية، ولا هي تطلق نفسه ليعمل في دنياه ما يحلو له وما يريد وما تسوله له نفسه - والنفس كما يقولون أمانة بالسوء - بل هي تدعوه كإنسان، وتنظر إليه كبشر يخطئ ويصيب، يحب ويكره، يحب المال ويجمعه، ويشح به ويكتره ولا ينفقه، يحب البنين، ويحب الدنيا وزينتها وهو مع كل ذلك يرغب في الآخرة ويتطلع إلى ما فيها من نعيم. استمعوا لرب الناس وهو يحدثنا عن الناس فيقول:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
الْمَعَابِ ﴿١٤﴾

وإذا كان هذا هو رأى رب الناس في الناس أتركهم يعملون ما يريدون أم يدعوهم إلى الهداية والنور في كتاب كريم يقول عنه سبحانه وتعالى:

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
(البقرة ٢)

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
 لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٣﴾ (آل عمران ١ - ٤)
 الرَّكِّ كَتَبُ أَتْرَلْنَهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ
 الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٤﴾ (إبراهيم ١)

ويدعوهم هذا الكتاب الكريم إلى الهداية والصرراط المستقيم، وتبدأ هذه الدعوة منذ
 أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم وجعله خليفته في أرضه ليعمرها، ويستخرج كنوزها
 ويدير شئونها، فيزرع أرضها ويجنى ثمار ما يزرع ويبحث فيما هو كائن على سطحها
 وفيما هو كائن بباطنها من خيرات وكنوز، ويدعو سبحانه وتعالى الملائكة زيادة في
 تكريمه وتعظيمه وبعد أن علمه الأسماء كلها ليسجدوا له فسجدوا.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
 وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴿٣٠﴾ (البقرة ٣٠)

ومن آدم عليه السلام جاء البشر جميعا، فكلهم أبناء آدم وهكذا يدعوهم سبحانه
 وتعالى ليعبدوا ربا واحدا وإلها واحدا هو الله الواحد الأحد. وما ذلك إلا ليكون البشر
 جميعا سواء لا فرق بين هذا وذاك، ولا فرق بين أبيض وأسود، ولا فرق بين شرقي أو
 غربي فكلهم من آدم الذي خلقه الله ليكون خليفته في أرضه، وهكذا كانت دعوة
 القرآن الكريم دائما للإنسان «يا بني آدم» تذكرا بهذا الأصل الواحد الذي لا خلاف
 فيه ويحذرهم ربهم في نفس الوقت من الشيطان حتى لا يصيبهم ما أصاب آدم عليه
 السلام.

يَدَّبُّنِي آدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَتَزَعُّ عَنهُمَا لِيَأْسَمَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
 سَوْءَ تَبَهُمَا ﴿٤﴾ (الأعراف ٢٧)

يٰۤاٰدَمُ اٰمَّا يٰۤاَتَيْنَكَ رُسُلًا مِّنْكَ يٰۤقُصُوْنَ عَلَيْكَ اٰيٰتِيۡ فَمِنْ اٰتَىٰ وَاَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيٰتِنَا وَاَسْتَكْبَرُوْا عَنْهَا اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا
خٰلِدُوْنَ ﴿٣٦﴾

وهكذا كانت دعوة الإسلام للبشر جميعا ببناء واحد يجمعهم كلهم، ولا يستثنى منهم أحدا. فما من إنسان إلا وهو ابن آدم، وآدم خليفته في الأرض. ولا يقتصر خطابه سبحانه وتعالى على هذا فقط بل يخاطبهم مرة أخرى، ويدعوهم بإنسانيتهم التي يعتزون بها وتميز الإنسان عن سائر الحيوان، وما أجمل أن يكون الإنسان إنسانا. والإنسانية هي الصورة الحقة الجميلة للإنسان الذي خلقه الله فأحسن خلقته وسواه فأحسن صورته وعلى كل مخلوقاته ميزة وكرمه ثم السبيل يسره استمعوا إليه سبحانه وتعالى وهو يقول:

يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَاَخْلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيْرًا وَّنِسَاءً ۗ وَاَتَقُوا اللّٰهَ الَّذِي تَسَاءَلُوْنَ بِهِ ۗ وَاَلْاَرْحَامَ

(النساء ١)

يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَّاُنْثٰى وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوْبًا وَّقَبَاۤىِٕلَ لِتَعَارَفُوْا ۗ اِنَّ اَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰىكُمْ

(الحجرات ١٣)

وما دام أكرم الناس عند الله أتقاهم فهو يدعوهم جميعا سبحانه وتعالى إلى التقوى لتستقيم الأمور وتستقر العدالة والمحبة بين الناس وتتنظم العلاقات بين البشر جميعا.

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تَقٰٰتِهٖ ۗ وَلَا تَمُوْنَنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴿١٠٢﴾

(آل عمران ١٠٢)

وكانما أمره هذا للذين آمنوا أن يتقوا الله حق تقاته فيه من الصعوبة ما يشق على

النفس البشرية وفيها ما فيها من ضعف وحب للشهوات فيقول في آيات أخرى:

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾
(التغابن ١٦)

وهكذا يقول سبحانه وتعالى «ما استطعتم» وهو أعلم بالإنسان الذي خلقه وسواه وزين له الدنيا وسخر له ما فيها من خير ونعم وسبحانه وتعالى الذي يقول:

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا
(البقرة ٢٨٦)

ثم يرشد الله الإنسان إلى ما يدعو به ربه وهل هناك أحسن من أن لا يحمله سبحانه وتعالى ما لا طاقة له به. فطاقة الإنسان محدودة وحواسه محدودة وما لا يطيق أكثر مما يطيق، وما يستطيع الصبر عليه أقل كثير مما يتعرض له في الحياة، وعندئذ يخبره العليم القدير كيف يدعو فيقول:

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾
(البقرة ٢٨٦)

وهكذا نعم رحمة الله الإنسان فلا عنت ولا عسر ولا اغفال للدنيا ولا اهمال لما فطر الله عليه الإنسان وجلبت عليه روحه بل يسر وسماحة وإلا فمن يرحم الإنسان ان لم يرحمه الرحمن، ومن يغفر للإنسان إن لم يغفر له ربه الذي كتب على نفسه الرحمة والغفران، وخلق الدنيا كلها وسخرها لخدمته ولا يذهبن الظن بنا إن الإسلام يترك الإنسان في دنياه يعيش في نعيمها ويتمتع بما فيها من نعم وزينة دون قيد أو شرط ولكنه يدعو ليعمل وجعل قيمة الإنسان بمقدار ما يحسن من عمل وأن الجزاء

من جنس العمل فمن عمل عملاً صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها والعمل بقدر ما هو واجب فهو شرف ونعمة لا يحس بها إلا من حرم تلك النعمة.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

(البقرة ٦٢)

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

(النحل ٩٧)

اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾

(سبا ١٣)

قُلْ يَنْقُومِ اعْمَلُوا عَلٰى مَا كُنْتُمْ اِىْ عَامِلًا فَمَنْ تَعْمَلُونَ

(الأنعام ١٣٥)

رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾
فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ
فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا الْأَكْكَرْنَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

(آل عمران ١٩٤-١٩٥)

فهو سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة يطلب الإيمان والعمل فالمؤمن بالله لا بد وأن يعمل فالإيمان وحده لا يكفي، ومن يعمل لدنياه فقط لم يصل الى مرتبة الإيمان التي يريد بها الإسلام. ومن ترك الدنيا وزينتها ونسى نصيبه منها ولم يعمل بقوله تعالى:

وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا^ط

(القصص ٧٧)

يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوَامِنِ الطَّيِّبِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

(المؤمنون ٥١)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوَامِنِ طَيِّبِتِ مَارَزَقَنَكَ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ ءِيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾

(البقرة ١٧٢)

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ (المائدة ٩٣)

* يَبْنِي ءَادَمَ خُدُوزِ يَنْتَكُرُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ السُّرْفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُسْرِفُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

(الأعراف ٣١-٣٣)

ويقول صلوات الله عليه: «إن الله تعالى لا يقبل إلا طيبا، وأنه أمر المؤمنين بما أمر

به المرسلين».

ويقال أن أناسا جاؤا إلى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونهن عن عبادته وقد قال واحد منهم أنه لا يأكل اللحم أبدا. وقال آخر: أنه لا يتزوج النساء. وقال ثالث: أنه لا ينام على فراش، وهكذا كما كانوا يظنون رغبة في الزهد وتقربا من الله، وزيادة في العبادة ولما عرف النبي أمرهم خرج إليهم غاضبا وقال: «ما بال قوم

يقول أحدهم كذا وكذا وإنى لأخشاكم لله وأتقاكم ولكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأكل اللحم وأنزج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى، ويقول صلوات الله عليه أيضا: «إنما هلك من قبلكم بالتشدد شدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم فى الديار والصوامع فاعبدوا الله ولا تشركوا به واستقيموا يستقم بكم».

وهكذا يطلب الإسلام من المسلم أن لا ينسى نصيبه من الدنيا، وأن يكون بشرا سويا لا ملاكا سماويا يعيش على الأرض، ولا يسبح فى عالم الفضاء، يسعى لرزقه ويأكل من عمل يديه، ويجوع ويشبع، ويشقى ويسعد، يتزوج ويجمع المال، ويبنى القصور ويملك الأرض ولكن الله سبحانه وتعالى ينهاهم فى نفس الوقت عن الغنى الفاحش والترف الذى ينسى الإنسان نفسه فينسى ربه، ويظن أنه على كل شئ قادر كيف لا وخيرات الدنيا كلها ملئ يمينه إن شاء أعطى، وإن شاء منع. ويحدثنا سبحانه وتعالى عن قارون الذى كان من قوم موسى والذى أتاه الله من الكنوز ما أن مفاتحه لتتو بالعصية أولى القوة إذ قال له قومه:

لَا تَفْرَحْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

ولكن قارون تأخذه العزة بالإثم وينسيه غناه ربه فيقول: (أنما أوتيته على علم عندى) وينسى أن الله قد أهلك من قبله من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا. ويخرج قارون على قومه فى زينته فيقول الذين يريدون الحياة الدنيا (يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم) ولكن الذين أتوا العلم يقولون: (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون). وهنا يأتى عذاب الله وتأديبه لمن طغى وتكبر وأنساه الشيطان ذكر ربه فيخسف الله به وبداره الأرض ويصبح عبرة لمن كانوا يتمنون مكانه بالأمس فيقولون:

وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا
وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾

(القصص ٨٢)

ويقول سبحانه وتعالى:

تِلْكَ الْأْدَارُ الْأَخْرَجُهُ لِمَجْعَلِهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٣﴾

(القصص ٨٣)

ويقص علينا سبحانه وتعالى قصة صاحب الجنتين الذي قال لصاحبه وهو يحاوره:

أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٤٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ
هَذِهِ أَبَدًا ﴿٤٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٤٦﴾

(الكهف ٣٤-٣٦)

فيقول له صاحبه وهو يحاوره:

أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٤٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا
أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ
مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حَسَابًا مِّنَ السَّمَاءِ
فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٥٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٥١﴾

(الكهف ٣٧-٤١)

وهكذا كان عاقبه أن:

وَاحْبِطْ بَشْمِرَهُ، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ
يَلْبِثُنِي لَوْ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٥٢﴾ وَلَوْ تَكُنْ لَهُ رِقَّةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ

(الكهف ٤٢-٤٣)

مُنْتَصِرًا ﴿٥٣﴾

وكانما المال دائما إذا وضع في غير موضعه أو إذا نظر إليه صاحبه نظرة غير تلك التي يجب أن ينظر إليه بها فلا هو شاكر لربه على ما أعطاه ظنا أنه أوتى ذلك المال من عمل يديه هو لا من فضل الله، وهكذا يكفر برسل الله ويجاهر بكفره وعصيانه معتزا بماله الذي لا دوام له ولا استقرار استمعوا إليه سبحانه وتعالى وهو يتحدث عن هؤلاء المترفين:

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
 (سبا ٣٤-٣٥)
 وَكَرَّ قَصْمَانًا مِّنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَزَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِينَ ﴿١٥﴾
 (الأنبياء ١١-١٥)

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حِزْبًا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾
 (الزخرف ٣١-٣٢)

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَادِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ ﴿٦٦﴾
 (المؤمنون ٦٤-٦٦)

وليس معنى هذا أن الله ينهى عن الكسب الحلال فهو حق للإنسان ومن غير المعقول أن لا يحرم الله الزينة التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم لا يدعوهم إلى العمل والكسب. استمعوا إليه سبحانه وتعالى:

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

(الجمعة ١٠)

تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ

(الملك ١٥)

وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

ويريد الله بالرزق الحلال الكسب الحلال فلا ربا ولا استغلال لمعدم محتاج وإلا
فيأذنوا بحرب من الله ورسوله.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا
فَأَذْنُوبُ جَحِيمٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾
وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ

(البقرة ٢٧٧-٢٨٠)

حتى إذا جمع الإنسان مالا ورزقا حلالا قال له:

وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْدِرُوا بَدْرِيًّا ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا
إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧٧﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أِتِنَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ
تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٧٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٧٩﴾

(الإسراء ٢٦-٢٩)

* لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّالِفِينَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنِينَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

(البقرة ١٧٧)

وهكذا يضع الله لصاحب المال حدودا فعليه أن يعطى ذوى القربى حقهم والمسكين وابن السبيل ويطلب منه فى نفس الوقت أن لا يذير تذبذبا ثم يقول له لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا. وهكذا يضع القرآن الكريم الأسس المثينة للقواعد الإجتماعية والاقتصادية فللقريب الفقير حق وللمسكين حق ولابن السبيل حق، ولصاحب المال نفسه حق ولكن عليه ألا يذير ولا يجعل يده مغلولة إلى عنقه، ولا يبسطها كل البسط بل عليه أن يتغنى بين ذلك سيلا، حتى لا يقعد ملوما محسورا. ولا يسمح الإسلام أبدا لمن أوتى المال أن يكون ماله هذا عوناً على الظلم وأداة يستعملها للبطش والبغى ولكنه يقول:

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ

(البقرة ١٨٨)

النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

وإذا كان الإسلام يدعونا إلى البذل والعطاء فهو ينهانا عن الشح الذى يمنع ذوى المال من التراحم والبذل والعطاء ومساعدة الضيف ومد يد المعونة للمحتاج:

(الحشر ٩)

وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(آل عمران ١٨٠)

ويقول عليه الصلاة والسلام: «إياكم والشح فإنما هلك به من كان قبلكم. أمرهم بالقطيعة فقطعوا. وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا».

ويقول صلوات الله عليه في حديث آخر: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم».

ويعتبر القرآن الكريم إطعام الفقير والمسكين والعطف على اليتيم والتواصي بالصبر والمرحمة عقبة وما أعظمها عقبة حتى إذا استطاع الإنسان أن يتخطى تلك العقبة كان من أصحاب الميمنة.

فَلَا أَقْتَحِمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيئًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ (البلد ١١-١٨)

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يُدْعُ الْبَنِيْمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ أَفَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَءَوْنَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ (الماعون ١-٧)

ويدعو الإسلام ذوى المال للبذل فى العطاء لتدعيم قوة المسلمين حتى يستطيعوا أن يردوا كيد المعتدين.

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ أَخِيلٍ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (الأففال ٦٠)

أما الأغنياء الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وآثروا الشح على البذل والعطاء فيقول عنهم سبحانه وتعالى:

وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾
 (التوبة ٣٤)

كَفَّ بَلًّا لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ
 الْثَرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾
 وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئْنَا يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى
 لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَنَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا
 يُؤْتِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾
 (الفجر ١٧-٢٦)

ثم فلنستمع إلى هؤلاء الذين لم ينفقوا أموالهم في سبيل الله عندما يسألون:

مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْلَا لَرْنَاكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْلَا نَكُّ نَطْعِ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾

(المذثر ٤٢-٤٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا

(سورة الأعراف)